Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم تكن طيراناً في فراغ، لم تكن قفزة ضبابية المعالم سرابية الأحلام. لم تكن «سربالية» إذا صح التعبير. المغامرة على العكس من ذلك، كانت ضرباً في صميم الواقع، فيها الغياب يضاجع الحضور، يجرحه، يفضح سره، ويعبر منه وبه باتجاه منافذ الخلاص الطوباوي.

محاولة العبور هذا قد لا تنجح لأن الواقع قد يفشلها في كل حين. ولكن، لا هم في ذلك، فالضرب في عمق الواقع مستمر وثابت وفعل الافتضاح قائم وعانف. لماذا الوعد الكاذب؟ ما دامت الحرب لم تنته بعد، ما دام الحضور مستمراً في حضوره، والغياب في غيابه، لماذا وضع حدّ للصراع؟

لماذا الانطفاء المفاجىء؟

لماذا الارتماء في أحضان طوباوية عاجزة؟

فلتكن إذاً العودة إلى دائرة الصراع الحقيقي بين وجه الحضور ووجه الغياب، هذا الصراع الذي كان في أساس تكوين وتغذية رؤياه القصصية.

وهذا ما نجده فعلاً في القصة الأخيرة التي هي بعنوان «وجه ميتريدات الآخر».

لعل جدلية الحضور والغياب التي عنها تحدثت تتضح على أشد ما يكون الوضوح في هذه القصة الأخيرة.

لميتريدات وجهان: حاضر وغائب.

الوجه الحاضر وجه البطولة والحرب والحديد والنار، وجه الموت.

الوجه الغائب وجه الطفولة والحب والحرية والسلام، وجه الحياة.

ويبقى يوسف حبشي الأشقر مؤمناً بغلبة الوجه الآخر أي الثاني وجه الفرح والحب والحياة، على وجه الفجيعة والحرب والموت:

«فارس يفتح الأرض. سيخصب الوجه الآخر لجذور ميتريدات» (ص ٢٠٢).

لم ينته في مغامرته إلى مكمن الموت المحيق ولا إلى مكمن الحياة المشعة، ولكن